التعريف والنقد

خطط الشام

تأليف العلاّمة الأستاذ محمد كرد علي

الطبعة الثانية بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ (١)

ستة أجزاء في ثلاث مجلدات

بقلم الدكتور شكري فيصل

ليس كتاب « خطط الشام » في حاجة إلى تعريف . إن الاعتماد عليه ، والرجوع اليه ، في كثير من أبحاث العلماء والمؤرخين والاجتماعيين حين يتحدثون عن بلاد الشام خلال هذه السنوات كلها ، منذ بدأ ظهور الجزء الأول منه « سنة ١٩٢٥ » ، هو لون من ألوان التعبير عن التقدير له والاعتراف بفضله .

والشام في عرف المؤلف لا يعني هذا المدى القطري الضيق ، وانما يعني هذه الأصقاع التي تتناول ما اصطلح العرب على تسميته بهذا الاسم ، وهو القطر الممتدّ من سقي النيل الى سقي الفرات ، ومن سفوح طوروس الى أقصى البادية (٢) .

وأما ما يريده بالخطط فذلك « كل ما يتناول العمران ، والبحث في تخطيط بلد بحث في تاريخه وحضارته (٢) » .

---

(١) سنة الانتهاء من الطبع ، كما جاء في آخر صفحة من الجزء السادس .

(٢) خطط الشام ج ١ ص ٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولقد بدأ الكتاب نبتة صغيرة ظهرت على صفحات مجلة المقتطف عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩ م) في شكل سلسلة من المقالات أو الفصول كتبها الأستاذ كرد علي عن مدينة دمشق تحت عنوان « عمران دمشق » .. ثم وقع في نفسه بعد ذلك ، على حد تعبيره في المقدمة « أن يتوسع في هذا البحث وأن يدرس عمران الشام كلّه لأنّ صورة العاصمة وحدها لا تكفي للدلالة على حالة القطر ، ومن الإشراف على الأطراف قد تعرف صحة الجسم عامة والقلب خاصّة ، ومن اهتمّ بالجزء كان حرياً أن يضاعف العناية بالكل »[1]

ولقد لقي الكتاب منذ ظهوره ترحيباً لم يقدّر لكتاب آخر في مثل ظروفه ، ذلك أن الأستاذ الرئيس رحمه الله نخل كثيراً من الكتب ، ونظر في كثير من المراجع ، وتوفرت له جملة من المصادر المطبوعة والمخطوطة ، وجملة أخرى من المراجع باللغتين التركية والفرنسية خلال خمس وعشرين سنة .. وكان له من صواب النظرة ، وسعة التفكير ، وغنى الزاد ، وعمق التجربة ، والضرب في آفاق الثقافة ما ساعده على أن يفيد من هذه المصادر والمراجع حق الإفادة .. ثم كان له من وراء ذلك هذا البيان المشرق ، وهذا الأسلوب المحكم ، وهذه القدرة القوية على التمثل والعرض ، فاستوى له من ذلك كلّه هذه الثمرة الطيبة التي صدرت باسم « خطط الشام » .

والكتاب في ستة أجزاء ، الثلاثة الأولى منها للتاريخ السياسي ، عرضت في الأول منها لتقويم الشام ، وسكانه ، ولغاته ؛ ثم بدأت في منتصف الجزء الأول تعرض تاريخه قبل الإسلام ، ثم في الإسلام أيام الخلفاء ، حتى كان الانتداب بعد الحرب العالمية الأولى .. والثلاثة التالية منها لتاريخه المدني تحدثت عن العلم والأدب فيه ، وعن الصناعة والزراعة والتجارة ، وعن الجيش والأسطول ، والجباية والخراج والاوقاف والحسبة والبلديات ، والترع والموانىء ، والطرق

(١) الخطط ج ١ ص ١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والبرق والبريد ، والمصانع والقصور ، والمساجد والجوامع والخوانق والرّبط ، ودور الآثار ودور الكتب ، والأديان والمذاهب ، والأخلاق والعادات .

- ٢ -

غير أن الكتاب أضحى على تتابع السنين نادراً أو كالنادر ، وفي خلال السنوات العشر الأخيرة كان من العسير أن تجد نسخة كاملة منه مرةً واحدة ، وإنما تقع على الجزء دون الجزء ، وتأخذ تلمّ هذه الأجزاء من هنا وهناك حتى تظفر منه ، إن ظفرت ، بالأجزاء تامة وبدا واضحاً انه لا بد من إعادة طبعه وتيسير الحصول عليه .

وقدّر لأصحاب المكتبة العربية في دمشق السادة « عُبيد إخوان » أن ينهضوا بذلك .. وساعدهم أن الأستاذ العالم المحقق أحمد عبيد كان على صلة قوية بالأستاذ كردعلي : بعض هذه الصلة لبس ثوب الصداقة ، فما أكثر ما كان الأستاذ كرد علي يعقد هذه الحلقة ، في ظهر كل يوم لدن خروجه من المجمع فرواحه الى البيت ، في صدر المكتبة العربية ، وبعض هذه الصلة لبس ثوب التقدير ، فالأستاذ كردعلي ملء سمع الناس وبصرهم، وهو شديد الثقة بالاستاذ عبيد في أمور المخطوطات والمطبوعات ، وفي إمداد الظاهرية والمجمع بها .. وإليه أشار هذه الإشارة الطيبة في خاتمة تحقيقه لسيرة أحمد بن طولون حين قال عنه ، بعد أن شكر « للأساتذة عبد القادر المبارك وخليل مردم ويوسف العش على معاونتهم لنا في حلّ بعض مشكلات تجلت في الكتاب بجهل الناسخ » : «ونخص بالثناء حضرات أصحاب المكتبة العربية لتفضلهم بنشر الكتاب على هذه الصورة الأنيقة . وأكبر الفضل لأحدهم صديقنا الاستاذ أحمد عبيد ، فإنه أعاد النظر في الكتاب من أوله إلى آخره ، ودقق فيه تدقيقاً بليغاً ،فردّ بذلك معظم نصوص المخطوط الى نصابها من الصواب » .

هذه الصلة هي التي أتاحت للاستاذ عبيد أن يكون على معرفة بالنسخة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المصححة التي خلفها الأستاذ كرد علي ، وهي التي حببت إليه أن ينهض بعبء إعادة طبعه ، فاتفق مع أصحاب الحق في ذلك من ورثة المؤلف ، وأخرجه هذا المخرج على هذه النسخة المصححة .

- ٣ -

ولكن ماذا في هذه التصحيحات ؟

تتناول هذه التصحيحات جملًا وألفاظاً ومقاطع أعاد المؤلف النظر فيها ، وتتناول معلومات ووثائق وأحداثاً ظفر بها أوببعض تفاصيلها بعد طبع الكتاب .. إنها في جملتها هذه المجموعة من الاستدراكات والتصويبات التي جمعها الأستاذ كرد علي في الجزء السادس من كتابه .. بعض هذه الاستدراكات كانت مما وقع له ، وبعضها كان مما وقع عليه الذين نقدوا أجزاء الكتاب إثر صدورها . وقد كان هؤلاء النقاد فريقين : فريق كتب اليه مباشرة بملاحظاته ، وفريق نشر هذه الملاحظات في هذه أو تلك من المجلات . وقد شغلت الاستدراكات نحواً من سبعين صفحة في كل صفحة جدولان ، هي الصفحات الممتدة بين ٣٤١ وبين ٤٠٩ .

وفي كل ذلك يقول الأستاذ كرد علي « ج ٦ ص ٣٤١ » : « فاتنا في الأجزاء الستة من خطط الشام تدوين بعض حوادث ووثائق كانت مدونة في مفكراتنا ، أو عثرنا عليها في كتب ومدونات أخرى بعد إنجاز الطبع . ووقعت لنا أغلاط منها ما انتبهنا إليه بعد النشر ، ومنها ما تفضل به بعض العلماء والأدباء فأرشدونا إليه ، فضممنا تلك المستدركات وهذه التصويبات في الصفحات التالية إرادة التحقيق شاكرين كل الشكر لمن انتقدونا فأسدَوْا يداً إلينا وإلى العلم ، جزاهم الله خيراً . ومن الناقدين الذين نظروا في الخطط من بعثوا إلينا مباشرة بنقداتهم ، ومنهم من كتبوا في المجلات العلمية . فممن نقده من الأعلام المرحوم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشيخ سليم البخاري في دمشق . . وأحمد تيمور باشا في القاهرة . . والأمير شكيب أرسلان في لوزان من سويسرة . . والسيد عبد الله مخلص في حيفا والسيد عمر الصالح البرغوثي في القدس . . والسيد عيسى اسكندر المعلوف في زحلة من لبنان ، والأب أ . س . مرمرجي في القدس ، والسيد جميل البحري في حيفا .

ونقد الخطط في المجلات المرحوم الدكتور يعقوب صروف في مجلة المقتطف بالقاهرة ، والأب انستاس ماري الكرملي في مجلة لغة العرب في بغداد ، والسيد عارف النكدي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، والأب لويس شيخو والأب هنري لامنس في مجلة المشرق في بيروت ، والسيد أسد رستم والسيد أنيس الخوري المقدسي في مجلة الكلية في بيروت ، والدكتور فيليب حتّي في مجلة الجمعية الآسيوية الأمريكية الانكليزية . . »

ليست هذه التصحيحات ، على ذلك ، بالشيء الهيّن . . إنها تتضمن جهود الأستاذ المؤلف نفسه ، كما تتضمن جهود هؤلاء الأعلام من كل بلد من الذين نظروا الى الكتاب وأبدوا ملاحظاتهم عليه .

— ٤ —

لا تتميز الطبعة الجديدة إذن بأنها أروت ظمأنا إلى الكتاب ، وجددت فرص الإفادة منه ، ويسرت أسباب الحصول عليه . . ولا تتميز كذلك بأنها دمجت هذه التصليحات والتصويبات والاستدراكات في مكانها من صلب الكتاب وأتاحت لنسخة المؤلف المصححة أن تكون في أيدي الباحثين . . وإنما تميزت فوق ذلك وبعد ذلك بالعناية الدقيقة التي بذلت في إخراجها وتصحيحها . . وما أحسب أن ثاشراً من الناشرين العلماء ، يتولى بنفسه وعلمه وخبرته تدقيق ما ينشره ، يبلغ ما يبلغ الأستاذ أحمد عبيد من دقة . . وإن له في ذلك جهوده

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التي لاتوازَى في كل كتاب من الكتب التي تولّى تحقيقها ، او تلك التي تولّى الإشراف عليها في نطاق مطبوعات مكتبته .

ومن أجل ذلك : من أجل هذه الثقة التي تعلقت به ، وهذه الدقة التي عرف بها ، كنت أتمنى لو أنه أبقى مصادر الخطط على نحو ما جاءت في الطبعة الاولى. فالاستاذ كرد علي ذكر هذه المصادر في الجزء الاول ، ذكر المطبوع منها والمخطوط ، العربي والتركي والفرنسي.. وأغلب الظن أنه ذكر أكثر ما اطلع عليه وهو يعدّ كتابه سواء نقل عنه او لم ينقل . ولهذا استغرق تعداد هذه المصادر الصفحات من ١١ – ٤٥ ، في كل صفحة جدولان ، وانتهى عددها الى ٦٩٥ مصدراً ينضاف اليها المصادر التي اضافها هو في المستدرك « آخر الجزء السادس » .

ولعل الاستاذ الناشر رأى أن الاستاذ الرئيس اذا كان أفاد من هذه المصادر او من بعضها فإنه لم يحدد موضع هذه الفائدة في كتابه ، ولم يشر الى الصفحات التي اخذ منها ولم يسمّ الأجزاء ، ولذلك لم يَعُدْ في ذكر هذه المصادر بأسمائها ، كبير خير .

ومن هنا تجاوز المطبوع من هذه المصادر واكتفى باثبات المخطوط.. تجاوز المصادر المطبوعة بالعربية والتركية والفرنسية وأبقى على المصادر المخطوطة وأضاف اليها سنوات وفاة أصحابها حتى يضع كلّ كتاب في مكانه من الحيز الزمني[1] .

وأحس أني لست مطمئناً الى هذا الصنيع .. صحيح ان الاستفادة من هذه

(١) – يقدم الناشر لمصادر الخطط في الجزء السادس بهذه الجملة « لم نذكر في هذا البيان الكتب المطبوعة العربية ولا الكتب الأجنبية التي اطلع عليها المؤلف ، لأنه لم يشر الى مواضع ما أخذ منها ، فلم يبين اجزاءها ولاصفحاتها مما افقدها قيمتها لمن يجب الرجوع اليها ، وانما اقتصرنا على المخطوطات من تلك المصادر ... »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المصادر المطبوعة تبدو متعذرة ، ولكنها تظل على كل حال شاهداً على الكتب التي نظر فيها الاستاذ المؤلف او رجع اليها ... أفاد منها أم لم يفد .. اشار الى نقوله منها أم لم يشر .. إنها ،في أقلّ ما يكون من فائدةٍ في ذكرها ، ثَبَتٌ بمصادر موضوع التاريخ السياسي والحضاري لبلاد الشام .. وليست معرفة ذلك ولا جمعه بالشيء الهين .. وما أكثر ما يفيد الباحثون من الرجوع اليه وبخاصة حين نذكر أن كثيراً من هذه المصادر كان يعرفه جيل الاستاذ كرد علي ، أريد علماء الجيل ، ولكن الأجيال التي بعده تفتقد كثيراً منها او يغيب عنها منه الكثير .

وشيء آخر كنت أتمنى كذلك أن لا يكون .. ذلك هو إغفال مكان المخطوط في فهرس المصادر الجديد . فالاستاذ الرئيس كان يذكر المخطوط ويذكر مكان وجوده الذي عرفه فيه ، مكتبةً عامة كان المكان او خزانةً خاصة .. ولكن الاستاذ الناشر أغفل هذا عن ثقة منه بأن الكثير من هذه الاماكن إنما كان خزائن خاصة بأصحابها ثم ماتوا عنها فتفرقت .. ولن يفيد أحدٌ من ذكرها . وأما الذين يتتبعون ذلك لغرض علمي ففي الوسع أن يعودوا اليها في الطبعة القديمة .

ولست كذلك مطمئناً الى هذا الصنيع .. ويبدو لي أن الاستاذ احمد عبيد ، وهو من هو أصالةً ونفاذاً ورسوخ قدم ، كان يمكن أن يختار الإبقاء على ذكر مكان المخطوط ولو كان يعتقد – بحكم تجربته العريضة – تعذر الإفادة من ذلك. إن أمكنة هذه المخطوطات نقطة مضيئة في خط حركتها ، ولو لم يكن من ذلك إلا أن نعرف أن المخطوط كان سنة كذا في مكان كذا لكان حسبنا .. مهما يكن من نصيب هذه الأمكنة من العفاء ، وحظّها من البقاء ، ومهما يكن من تبعثر هذه المخطوطات وافتراقها هنا وهناك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

- ٥ -

وبعد ، فما الذي تثيره معاودة طباعة هذا الكتاب ؟

ليست إعادة الطبع في ذاتها هي الظاهرة التي تلفت الإنسان وهو يقدم هذا الكتاب مرة جديدة .. قد تكون هذه الإعادة تأخرت سنوات كثيرة .. وليست معاودة تقدير الاستاذ الرئيس والوقوف عند بعض روائعه شيئاً جديداً أيضاً .. ذلك أن أثره في الحياة الفكرية الأدبية والعلمية والاجتماعية أثر متجدد، والدراسات التي كتبت عنه ، على كثرتها ، لا تزال تفتح أمام الباحثين آفاقاً جديدة لتنميتها ومتابعتها . وسيجهد جيلٌ من الباحثين في هذا المضمار يجلون ما كان من عمل الرئيس وما كان من فضله على الحياة الثقافية العربية .

ولكن الظاهرة التي تعنيني هنا ذات شقين :

في الشق الأول : يلاحظ المرء أن الحاجة الى الكتاب مازالت قائمة . بل لعلها تبدو – إذا راعينا تقدم الزمان بالناس – حاجة أشد . ومعنى هذا أن الدراسات التاريخية والاجتماعية التي تتعلق بهذه الرقعة من أرض العرب لم تحقق كثيراً من التقدم ، واننا لا نزال عالةً على ما كتبه إنسان واحد بجهد خاص قبل خمسين سنة ، على حين أن المؤلف نفسه كان يستشعر حاجة كثير من الموضوعات التي طرقها الى التوسعة فيها او إلى إغنائها او الى استقصاء جوانب منها او الى الاستفادة من المصادر التي لم يقدر له الوقوع عليها[1] وفي ذلك يقول آخر المقدمة : « وأنا موقن بأن فوق ما طالعت وبحثت غايات ، لم يمكني الزمان والمكان من بلوغها ، وعسى أن يقوم غيري بعدي فيتمّ هذه الخطوط التي رسمتها

(١) يعدد الاستاذ الرئيس رحمه الله في المقدمة أسماء جملة صالحة من الكتب يقول إنه بحث عنها جدّ البحث فلم يظفر بسوى ورقات من بعضها ، او مختصرات ومنقولات لا تبلّ غلة ، وحرّفت بالنقل وتشوهت محاسنها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من بنيان كتاب الخطط ويصلح ، بما يتوفر له من المواد ، ما ربما وقعت فيه من الغلط والشطط »[١] .

وفي الشق الثاني : يلاحظ المرء أن طبع الكتاب على نحو قريب من صورته الأولى التي طبع عليها منذ نحو من خمسين سنة ، يشير الى فقدان التعاقب العلمي وتآزر الجهود . فقد كان أبرز النقد الذي وُجّه الى الكتاب حين صدوره أنه لا يشير إشارات مفصلة الى المصادر التي أخذ عنها ، ولا يردّ الآراء او الأحداث او الروايات الى أصحابها ، وإنما يتمثل ما قرأه وما اطّلع عليه على نحوٍ من التمثل الذي يُعمِل فيه عقله وذهنه وممارسته الفكرية ، ثم يعرضه هذا العرض الرائع[٢] .

ألم يكن اذن من الخير لو أن الطبعة الثانية من الكتاب حاولت أن تسدّ هذا النقص على نحو من الأنحاء ؟... إني أعترف أن ذلك عسير عسير ، وأنه لم يكن من مهمة الناشر ، او لم يكن من مهمة الناشر وحده .. ولكن ما الذي كان يمنع أن تقوم في كلية الآداب فرقة بحث تعنى بذلك وتضيف الى الكتاب بعض الحواشي والملاحظات ، أو تردّ بعض ما تستطيع أن تردّه الى

---

(١) – هناك اشارات اخرى في المقدمة صريحة الصراحة كلها ، فهو يقول مثلاً « جاء الكلام ناقصاً في بعض الادوار المتأخرة ، وعُمّي عليّ بعض مواضع مهمة ذات صلة بمدنية الشام والسبب ... »

(٢) – في اول الكتاب ، في الجزء الاول ، يذكر الاستاذ الرئيس شيئاً من منهجه في هذا فيقول : « قد ننقل عبارة المؤلفين برمتها او نحذف منها جملاً او الفاظاً بحسب ما يقتضيه تأليف الكلام وبسطه او اقتضابه ولا نعزو عبارات المؤرخين التي نقلها غير واحد منهم على الأغلب ويكون العزو لما تفرد به مؤرخ ، او كان له ابتكاراً دون غيره من معاصريه وسابقيه ... » .

وانظر في هامش ص ٣٨٦ من هذا المقال ماقاله الناشر في آخر الجزء السادس حين قدم مصادر الخطط .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أصوله، وتعقد بين الكتاب وبين مصادره الاولى هذه الصلة التي لا بد منها؟ .

— ٦ —

جملة هاتين الملاحظتين تنتهيان بي الى أن البحث العلمي في وطننا لا يزال يتعثر ، وهو لا يزال يتعثر في أدق الأمور واشدها صلة بالماضي والمستقبل معاً ، أعني في كتابة التاريخ . . وعبثاً يحاول الذين يتحدثون عن النهضات أو يتصدون لها أن ينصرفوا عن التاريخ الى الواقع .. إن الحاضر أثر من الماضي ، والماضي والحاضر هما اللذان يفرزان المستقبل ويصوغانه .. وليس أدعى لتعتعة البناء من أن يغفل المحدثون أمر التاريخ : الأرض التي يقوم عليها كل بناء .

ألم يصدر الاستاذ الرئيس عن هذا .. ألم يقل في المقدمة : « كيف يحب المرء بلداً لا يعرفه ويحرص على سعادته ليسعد هو فيه وهو لا علم عنده بما تعاقب عليه حتى صار الى ما صار اليه ، وهل يفهم الحاضر بغير الغابر ، وهل تنشأ في الأمة روح وطنية اذا لم تدرس تاريخها حق الدراسة؟ .. » .

بل ان من ملامح التقصير البارزة في هذا البحث العلمي انه لا يستمر ولا يتتابع ولا تتصل فيه الجهود .. ان الذي نعانيه اذن ليس غياب البحث العلمي فحسب وانما هو غياب الخلق العلمي الذي يفرض التعاون والتتابع وبخاصة في مثل هذه الأعمال التي توشك أن تكون موسوعات .. ان جهداً مفرداً لا يملك أن يصل بهذه الأبحاث الى غاياتها أو قريب من غاياتها .. واذا كان هنالك هذه الظاهرة الفذة التي هي « كرد علي » في حركة التأليف في بلاد الشام فان هذه الظاهرة أثر لعصرها ونبوغ صاحبها .. ولكن طبيعة هذا العصر وطبيعة البحث العلمي المنهجي تفترض هذا التعاون . فقد أضحى أساسياً في هذا البحث العلمي جمع المصادر كلّها ، ورصد ما فيها ، وتوزيع الأبحاث بين عدد من المختصين كلٌّ في الجانب الذي يُعنى به . ولكننا لا نزال بعيدين عن ذلك .. ويبدو أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجامعة لم تستطع أن تتفرغ له ولعلها لم تستطع أن تبدأ حتى الخطوات الأولى، أردت زرع الروح العلمية ، وبداية الجهد المنظم ، والخروج من الكتاب المقرر المحدود والأمالي الملقنة ، والنجاح عن هذا السبيل .

— ٧ —

اذا كانت الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ «١٩٢٥ م» من كتاب خطط الشام ظاهرة رائعة ، فماذا يعني ظهور الطبعة الثانية بعد نحو من خمسين سنة ، وماذا نقول في تفسيرها في حساب الحركة العلمية ؟

كنا مع الفرد النابغة ، فهل نحن مع المجتمع النابغة ؟ أم إننا تجاوزنا الحدّ الأول دون أن نبلغ الحد الثاني ؟

أي شيء تعني هذه الظاهرة ؟ .. انها تعني ، لا شك ، أن كرد علي لا يزال في القمّة ، لم يجاوزه التاريخ ، وما كان له .. وانما تجاوز هو بعمله الفذّ نصف قرن جاء بعده ، لم يلحق به أحد .

ولكن الظاهرة تعني أيضاً أن حركة المعرفة والبحث والتأليف في حاجة الى وقفة عندها وأسئلة كثيرة حولها .

— ٨ —

وبعد فقد كنت أتمنى أن انتهز فرصة تقديم هذا الكتاب لأشيد بهذين النصين الرائعين اللذين كتبهما كرد علي :

أحدهما هذا النص الأدبي الذي كتبه الأستاذ الرئيس كأروع ما يكتب أديب بارع فذّ الأسلوب حين أهدى كتابه الى العلاّمة أحمد تيمور باشا ، وقال في بعض هذا الإهداء : « وإني لمعترف بقصوري عن وفاء حق مروءتك ووفائك في زمن قلّ فيه أهل المروءات الأوفياء ، ممن لا تبطرهم المظاهر الغرّارة ، ولا تسكرهم النعم الدارّة ، ولا تغيرهم البيئات والأجواء . أعزّ الله بحياتك دولة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العلم والأدب، وعلّم العاملين من إخلاصك مايستعيدون به عزة العرب، وأقال هذه الأمة المحبوبة عثرات الليالي ونزوات الأيام، وقيض لها من ينعشها بالعلم من تشتت الكلمة والتواء الاعلام » .

والآخر هذا النص الاجتماعي الدقيق الذي كتبه الأستاذ الرئيس كأروع ما يكتب باحث نافذ البصيرة دقيق النظر ولكنه قوي الانفعال عصبي المزاج دمويّه كما يقول عن نفسه ، حين تحدث عن رأيه في الأخلاق الشامية — يريد أخلاق بعض الشاميين — في خاتمة ما قاله في ذلك : « وما نخال منصفاً بصيراً إلا ويعترف ، وهو مثلنا جد آسف ، أن ما أصاب هذه الديار من المصائب منذ عهد طويل لم يكن الا بسوء أخلاق من تولّوا من أبنائها أمرها ، وأنه من المستحيل بعد أن صرّح الحق عن محضه أن تؤلف الشام كياناً يذكر، وتقوم في ساحة الحضارة البشرية بعمل يشكر ، ولو أوتيت علم الجرمانيين واللاتينيين ، ورزقت غنى الانكليز السكسونيين ، ما دامت أخلاق أهل الحلّ والعقد فيها لا تعالج بالتقويم ، ولا يحاول القضاء على مواطن الضعف من نفوسهم وعقولهم »

أكان عمل الأستاذ كرد علي حين كتب النصّ الأدبي الأول في المقدمة والنص الاجتماعي الأخير في الخاتمة إشعاراً بالمحورين اللذين قام عليهما الكتاب : روح الأديب وفكر العالم ؟ ..

بلى .. ذلك بعض ما كان .. وما أكثر ما كان من أثر الأستاذ وعمله .

تحية لروحه وسلاماً عليه في الخالدين .

شكري فيصل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net